

لمحات تاريخية عن معاناة واضطهاد زوار الأربعين (١٩٧٧-٢٠٠٢)

١. د. وائل جبار جودة
كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعه المثنى
yiul@mu.edu.iq

٢. د. رنا سليم شاكر
جامعه بابل / كلية التربية الأساسية

ملخص البحث

تضمن البحث مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة ناقش المحور الاول مبررات الحكومة العراقية لمنع المشي الى كربلاء ومن ابرز تلك المبررات خوفها من استغلال جهات خارجية تلك التجمعات لتحقيق اهدافها، وتلك المبررات غير منطقية كما هو وارد في البحث، وتابع المحور الثاني نماذج من معاناة زوار الاربعين اثناء المشي الى كربلاء المقدسة، ومن ابرز تلك المعاناة هو تخوف غالبية المجتمع من تقديم الماء والشراب الى زوار الامام الحسين (عليه السلام)، وتخوف الزوار انفسهم من الوقوع في قبضة النظام، لذلك ساروا في الطرقات الفرعية غير المعبدة وتعرضوا لمواقف قاسية في ظل وجود بعض الاشخاص الاشرار الذين همهم والوحيد ايداء الاخرين، وبالمقابل من الانصاف القول هناك بعض الاشخاص الطيبين الذين حاولوا قدر استطاعتهم تقديم المساعدات الى الزوار على الرغم من انهم كانوا يمثلون النظام، وتابع المحور الثالث اضطهاد السجناء الزوار داخل السجن، فقد تعرضوا لأبشع انواع التعذيب بالكهرباء والعصي الكهربائية والضرب المبرح، والتجويع والحرب النفسية لذلك توفي بعض السجناء نتيجة تلك المعاملة القاسية سواء بسبب الامراض او التعذيب بشتى الطرق.

الكلمات المفتاحية: (زيارة الاربعين، الامام الحسين، كربلاء، زوار الاربعين، الاضطهاد في السجن).

Historical glimpses into the suffering and persecution of Zawar Al-Arbaeen (19772002-)

Prof. Dr. Wael Jabbar Judah

Al-Muthanna University / College of Education for Human Sciences

A. Prof. Dr. Rana Salim Shaker

University of Babylon / College of Basic Education

Abstract

The research included an introduction, three axes, and a conclusion. The first axis discussed the Iraqi government's justifications for preventing walking to Karbala, and the most prominent of those justifications was its fear that external parties would exploit those gatherings to achieve their goals. These justifications are illogical, as stated in the research. The second axis followed examples of the suffering of the Arba'een pilgrims while walking. To Holy Karbala, and one of the most prominent of these sufferings is the fear of the majority of society to provide water and drink to the visitors of Imam Hussein (peace be upon him), and the fear of the visitors themselves of falling into the grip of the regime, so they walked on unpaved side roads and were exposed to harsh situations in the presence of some evil people. Whose only concern is harming others. On the other hand, it is fair to say that there are some good people who tried as much as they could to provide assistance to the visitors even though they were representing the regime. The third axis continued the persecution of the visiting prisoners inside the prisons. They were subjected

to the worst types of torture with electricity, electric batons, and severe beatings. Starvation and psychological warfare, so some prisoners died as a result of this harsh treatment, whether due to diseases or torture in various ways.

Keywords:(Arbaeen Visit, Imam Hussein, Karbala, Arbaeen Visitors, persecution in prisons).

المقدمة

تعد ظاهرة المشي الى ضريح الامام الحسين واخيه ابا الفضل العباس (عليهما السلام) وبقية الشهداء المشاركين معهم في واقعة الطف الاليمة بعد اربعين يوماً من وقوع تلك الحادثة، هو استذكار لمعاناة واضطهاد آل البيت (عليهم السلام) الذين تم اسرهم واقتيادهم مشياً على الاقدام الى الشام وفي مقدمتهم السيدة زينب بنت علي (عليها السلام)، وكان اغلب اتباع المذهب الشيعي حريصين على اداء تلك الزيارة على الرغم من تعرضهم الى الاضطهاد في مختلف العصور، ولاسيما في التاريخ المعاصر، لذلك استوجبت الضرورة العلمية تسليط الاضواء على جزء من معاناة واضطهاد زوار الاربعين، ونتيجة لذلك جاءت فكرة عنوان البحث خلال المدة (١٩٧٧-٢٠٠٢)، فإن اختيار عام ١٩٧٧، وهو العام الذي تم فيه تشديد ظاهرة منع المشي الى زيارة الاربعين بينما عام ٢٠٠٢، هو اخر عام اضطهد به الزوار ولاسيما بعد القضاء على نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣، من قبل الادارة الامريكية وحلفائها.

ومن دواعي اختيار الموضوع هو تعريف الاجيال العربية بصورة عامة عن ظلم نظام صدام حسين لجزء من شعبه لأسباب طائفية لا تقبل الشك، والدليل على ذلك هناك بعض المتملقين لذلك النظام ذهبوا مشياً على الاقدام الى قبر والدته صدام حسين

التي اسمها صبحة في محافظة صلاح الدين دون ان يمسهم اي شخص بأذى، فما بالك بالذهاب الى احباب رسول الله واحفاده، ومن ناحية اخرى القيام بمحاولة خجولة للحفاظ ما يمكن الحفاظ عليه من التاريخ الشفهي لبعض الاشخاص الذين تعرضوا للظلم والاضطهاد وتوثيقه بعد اختفاء الوثائق الخاصة بالتحقيق معهم او الاحتفاظ بها من قبل جهات مجهولة وتنبية الباحثين الى ضرورة ابراز مثل هكذا موضوعات عسى ولعل المستقبل يكشف مصير الوثائق المفقودة.

وتضمن البحث مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة ناقش المحور الاول مبررات الحكومة العراقية لمنع المشي الى كربلاء ومن ابرز تلك المبررات خوفها من استغلال جهات خارجية تلك التجمعات لتحقيق اهدافها، وتلك المبررات غير منطقية كما هو وارد في البحث، وتابع المحور الثاني نماذج من معاناة زوار الاربعين اثناء المشي الى كربلاء المقدسة، ومن ابرز تلك المعاناة هو تخوف غالبية المجتمع من تقديم الماء والشراب الى زوار الامام الحسين (عليه السلام)، وتخوف الزوار انفسهم من الوقوع في قبضة النظام، لذلك ساروا في الطرقات الفرعية غير المعبدة وتعرضوا لمواقف قاسية في ظل وجود بعض الاشخاص الاشرار الذين همهم والوحيد ايداء الاخرين، وبالمقابل من الانصاف القول هناك بعض الاشخاص الطيبين الذين حاولوا قدر استطاعتهم تقديم المساعدات الى الزوار على الرغم من انهم كانوا يمثلون النظام.

وتابع المحور الثالث اضطهاد السجناء الزوار داخل السجون، فقد تعرضوا لأبشع انواع التعذيب بالكهرباء والعصي الكهربائية والضرب المبرح، والتجويع والحرب النفسية لذلك توفي بعض السجناء نتيجة تلك المعاملة القاسية سواء بسبب الامراض او التعذيب بشتى الطرق، ومن اهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

هو المقابلات الشخصية مع الزوار الذين تعرضوا للسجن والتعذيب خلال مدة البحث واخص منهم بالذكر اكرم جاسم محمد علي الذي زود البحث بمعلومات مهمة والله ولي التوفيق .

أولاً: مبررات الحكومة العراقية لمنع المشي الى كربلاء خلال زيارة الاربعين:

حاولت الحكومة العراقية بعد وصول حزب البعث للسلطة في السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨، تشوية صورة مراجع الدين الشيعة بقصد التقليل من تأثيرهم في قواعدهم الشعبية والدليل على ذلك في حزيران عام ١٩٦٩، اتهم نجل المرجع محسن الحكيم السيد مهدي الحكيم (العامري، بيروت، ٢٠١٠)، بالخيانة والعمل بوصفه جاسوساً لصالح الادارة الامريكية واسرائيل، واتبعت الحكومة العراقية سياسة العلمنة وعزل الممارسات الدينية بنطاق ضيق، وخطت لذلك بشكل عملي عندما حاولت منع المواكب الحسينية من اجراء مراسيم زياره الاربعين، وكانت الادعاءات التي روجوا لها ان وراءها دوافع سياسية تقوض قوة الدولة (القيسي، ٢٠١٩، ص ٣٤٠، ٣٣٨) وبدأت تلك المحاولات لمنع زياره الأربعين (الفضلي، بيروت، د.ت، ص ٣٤٢-٣٤٤) حوالى مائتين وخمسين الف زائر متوجهين من النجف الى كربلاء مشياً على الاقدام في شباط عام ١٩٧٧، (عليوي، بغداد، د.ت، ص ٢٩) يمكن الاستنتاج مما تقدم ان الدوافع السياسية التي قصد بها النظام البعثي هو ارتباط المؤسسة الدينية بجهات خارجية دولية، من اجل خدمة مصالحها الخاصة، وبث تلك الافكار لأغراض تقليص دور المؤسسة الدينية الشيعية المتمثل بالمرجعيات الشيعية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى خوف النظام من تسخير زيارة الاربعين لإصلاح فساد النظام في ذلك الحين، ولاسيما انهم كانوا يرددون عبارات الامام الحسين الاصلاحية التي هددت عروش الظالمين.

وزعمت الحكومة انها القت القبض على عميل سوري اعترف بوجود مؤامرة لزرع قنبلة موقوته في ضريح الامام العباس (عليه السلام) (راضي، بيروت، ٢٠٠٩؛ زميزم، بيروت، ٢٠٠٢) في كربلاء وحذرت الأجهزة الأمنية قادة الموكب والزوار من مغبة المجيء غير ان شعورا بالتحدي كان يلوح في اجواء حشود الزوار وقاد ذلك التحدي مجموعه من الشبان من محافظة النجف (راضي، بيروت، ٢٠٠٩؛ زميزم، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٣٤٠-٣٤١)، ومن خلال قراءة ما تقدم يمكن القول ان الحكومة العراقية ارادت زرع الخوف في نفوس الزوار من اجل عدم الذهاب الى زيارة الاربعين وحاولت ربط القضية بالمخابرات الدولية فإن النظام السوري في ذلك الحين لم يكن على وفاق مع النظام العراقي آنذاك.

حاول رئيس النظام السابق صدام حسين (دغيدي، بيروت، ٢٠٠٤) ايجاد المبررات من خلال بعض الخطب التي ظهر فيها من خلال شاشات التلفاز مبيناً ان ظاهرة المشي غير مبررة في ظل التكنولوجيا الحديثة ووجود السيارات فما الداعي لسد الطرق وتعطيل المصالح العامة من وجهة نظره، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فإن تلك الظاهرة اي المشي من الممكن استغلالها من قبل ضعاف النفوس من اجل الاخلال بأمن الدولة، عن طريق استغلال الحركة الجمعية لصالح غايات مخطط لها، ولذلك كان صدام يرى ان الحزب واجبه توعية الناس لمخاطر تلك الظاهرة وعدم الخجل من القيام بذلك او الحساسية منه ([https://www.google.com/search?sca_esv=\(D2DFAB19DDCDBA41&RLZ=1C1GCEA_ENIQ1017IQ1017&Q](https://www.google.com/search?sca_esv=(D2DFAB19DDCDBA41&RLZ=1C1GCEA_ENIQ1017IQ1017&Q)). ويمكن القول ان المبررات غير مقنعة تماماً فالطقوس والممارسات الدينية ليس لها علاقة بالتكنولوجيا وركوب السيارات علماً ان الاشخاص القادمين الى كربلاء لا يحملون سوى صور الائمة والامتعة وغير مسلحين فأين الاخلال بأمن الدولة فإنها اجراءات طائفية، ومن ناحية اخرى لا توجد دولة في العالم ونظام سياسي ليس له خصوم ومن السهولة

اتهم أي شخص لأتفه الاسباب ان غايته الاخلال بأمن الدولة، علماً ان اجهزة النظام العراقي السابق كانت مهيمنة على الشارع ولا يمكن اختراقها بسهولة.

ثانياً : نماذج من معاناة زوار الاربعين اثناء المشي الى كربلاء المقدسة :

كانت هناك معاناة كبيرة للزوار اثناء المشي الى كربلاء المقدسة فمجرد التفكير في موعد الانطلاق مشياً على الاقدام الى كربلاء المقدسة لأداء زيارة الاربعين كان الخوف والقلق ينتاب الفرد حتى داخل بيته خوفاً من انتشار الخبر داخل العائلة، ومن الممكن سعادة من الاطفال الذين ربما بصورة عفوية كانوا ينشرون الخبر دون قصد، ونتيجةً لذلك كان يتفق الاصدقاء على السير وغالباً ما كانوا يسيرون ليلاً وفي الطرق غير المعبدة وسط البساتين، وحتى في بعض تلك الطرق وضعت الفرق الحزبية في القرى والارياف عناصر من افرادها بشكل نقاط تفتيش من اجل القاء القبض على زوار الاربعين بحجة مخالفة النظام والاخلال بالأمن، ولذلك فإن مشقة الطريق لا قيمة لها أمام احوال الخوف من الوقوع بأيدي الفرق الحزبية التي بعض افرادها لا تعرف الرحمة مطلقاً، وتعاملت مع الزوار بمنتهى القسوة من الضرب المبرح والتلفظ بألفاظ نابية دلت على انحطاط المستوى الاخلاقي. (مقابلة شخصية مع حمادي العاشر من اذار عام ٢٠٢٤)

وهناك الكثير من الشواهد التي أثبتت دونية التعامل مع الزوار ففي عام ١٩٩٦، اعترضت نقطة تفتيش زوار الامام الحسين (عليه السلام)، وهم كانوا من اهالي مدينة الناصرية (رحيم، ٢٠٠٥، ص ٢٣١) في قرية الابراهيمية (تبعد قرية الابراهيمية عن قضاء القاسم حوالي خمسة عشر كيلومتر وعن مركز مدينة الحلة حوالي عشرة كيلو متر واصبحت جعلها ناحية عام ٢٠١٦) في بابل في منتصف الليل في الساعة الثالثة

صباحاً، وقد ترجى وتوسل الزوار بعناصر تلك النقطة بإطلاق سراحهم ولكن تجاوزوا عليهم وتم تأجير سيارة ركاب نوع (أو أم)، وتم ارسال رفيق بعثي معهم من اجل ضمان ارجاعهم الى مدينة الناصرية، ولم يتأثروا بعويل النساء والاطفال، وعلى الرغم من الاجراء القاسي من قبل عناصر النقطة إلا انهم تعاملوا معهم بطريقة غير قاسية قياساً الى مناطق اخرى، وهناك بعض الشباب كانوا يراقبون الزوار قبل وصولهم الى نقطة التفتيش المذكورة ويرشدوهم الى طرق فرعية اخرى من اجل عدم المرور من تلك النقطة وليس كل من كان في تلك النقطة سيئاً بالتعامل مع الزوار فإن بعضهم كان يغض الطرف عن الزوار اذا كان لوحده في تلك النقطة ولكن اذا كانوا مجموعة فإن عناصر النقطة كانوا يخافون من بعضهم البعض خوفاً من كتابة التقارير التي ربما تصفهم متخاذلين مع الزوار ومن ثم يتم اعتقالهم وتعذيبهم. (مقابلة شخصية مع محمود جودة حمادي)

وعانى الزوار أثناء المشي من تخوف سكان المناطق من مساعدتهم في اعطائهم ماء الشرب او الطعام، وبرر البعض ذلك بقوله تعالى (لا يكلف الله نفساً الا وسعها)، (البقرة، الآية ٢٨٦) وكذلك قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)، (البقرة، ١٩٥) وربما تفسير تلك الآيات بعيد كل البعد عن زوار الاربعين، و من الانصاف القول ان عناصر حزب البعث كانت تترصد بمن قدم المساعدة للزوار والقت القبض على بعض الاشخاص لأنهم قدموا الطعام الى الزوار وعاملوهم بمتهى الوحشية والقسوة، ومن القضايا المؤلمة هو ان بعض الاشخاص ارادوا ايداء الزوار القاصدين الى كربلاء مشياً على الاقدام بأي وسيلة وهناك الدليل على ذلك ما حدث لبعض الزوار من مدينة السماوة خرج مجموعة من الشباب بشكل جماعات وتحديدًا في زياره عام ١٩٩٧، قبل ايام من موعدها في الخامس والعشرين من حزيران من العام نفسه،

وخلال مسيرهم اثناء الليل تم نصب كمين لهم في منطقة السدير عن طريق احد السيارات المدنية على الشارع الرئيس توقعوا انهم كانوا يقدمون الطعام والشراب لهم، لكن تبين انهم عناصر بعثية، وبعد وصول اول زائرين بقرهم طلبوا منهم هوياتهم ثم اعتقلوهم، وتوقع الزوار الاخرين انهم قدموا المساعدة لهم في ظل ذلك الجو الحار لذلك جاؤوا مسرعين لهم بدلاً من الهروب منهم وبذلك تم اعتقالهم وعددهم ثلاثة عشر زائراً تقريباً، وتم نقلهم الى الفرقة الحزبية في السدير ووسط اهانات وكلمات نابيه واذلال وظلوا في الفرقة الحزبية لغاية الصباح ثم نقلوا الى مديرية أمن السماوة. (مقابلة شخصية مع جليل محمد لفته)

وهناك حادث اخر مفاده خروج مجموعة من الشباب المؤمن في ناحية المحاويل (كركوش، ١٩٦٥، ص ١٥٤) في محافظة بابل وتحديدأ قبل ايام من زيارة الاربعين عام ١٩٩٧، وهم كل من ميثاق زهير ناجي و رزاق شاكر عمران واحمد حسن حسون وصلاح حصين، فقد سلكوا الطرق الوعرة بمحاذاة البزول والجداول النهرية وعندما عبروا الشارع الرئيس مقابل معسكر المحاويل مشوا مسافة وذلك في تمام الساعة الثالثة صباحاً اي منتصف الليل، جاءت سيارة نوع (بيكم حمل) فيها عدد من البعثيين و كلائهم من المدنيين مدججين بالسلاح ونتيجةً لذلك حاول اولئك الشباب الهروب خلف اشجار الكالبتوز لكن تمكن عناصر البعث ومؤيديهم من الوكلاء من القاء القبض عليهم، وتم نقلهم الى مديرية فرقة حزب البعث في المحاويل، وسط اجراءات قاسية وكلمات نابية وإهانات مستمرة لهم، والمثير في الامر التقى بهم البعثي المدعو ابو عروبة وهو خال رزاق شاكر عمران قال لهم ممنوع الزيارة كيف تحالفون الاوامر فقال له رزاق نحن لا نعلم ممنوع الزيارة، ثم تركهم وتم نقلهم وهم مكبلين الايدي والارجل الى مديرية امن المحاويل. (مقابلة شخصية مع ميثاق زهير ناجي)

و في نفس تلك الليلة في تمام الساعة الرابعة فجراً، وتم وضعهم في غرفة قطرها ثلاثة امتار بيدوا انها كانت مخزن وفيها بعض مواد الأثاث التالف، وساعدهم هناك شخص اسمه علي عبید ناصر، ولم يجعل زملائه في الامن بإيذائهم وابلغهم انه في الصباح يتم نقلهم الى مديرية امن الحلة، وتم وضعهم في غرفتين كل غرفة قطرها اربعة امتار في ظل الجو الحار لا توجد حتى مروحة سقفية في تلك الغرف ويوجد فيها شباك صغير اعلى الغرفة وضع فيها حوالي مئة سجين كلهم زوار الاربعين ظلوا فيها سبعة ايام، وشربوا من ماء الحمامات التي كانت طافحة، واعضاء الامن جمعوا مبالغ كبيرة من الزوار السجناء مقابل شراء لهم وجبة واحدة من الصمون الخيار، وتم نقلهم اثناء الليل بواسطة سيارات ركاب (نوع كوستر) الى سجن الثورة في مركز شرطة الثورة وتم ادخالهم الى قاعة طولها عشرة امتار وعرضها اربعة امتار وضعوا فيها ما قارب المئتين شخص فكانت مزدحمة جداً فلم يتمكن الزوار السجناء من التحرك بسهولة داخل قاعة السجن، ولا توجد فيها مروحة سقفية، ولكن موجود فيها شباكين كبيرات، واثناء وجودهم في ذلك السجن علم اهالي الزوار السجناء بوجود ابنائهم بذلك السجن. (مقابلة شخصية مع ميثاق زهير ناجي)

عندما جاء مجموعة من الزوار في عام ١٩٩٨، عددهم ستة زائرين الى كربلاء مشياً على الاقدام قادمين من مدينة العمارة (الندواني، بغداد، ١٩٦١) وصادفهم مفرق طريق قريب من مدينة كربلاء وظلوا في حيرة من امرهم اي طريق يمكن الذهاب من خلاله، فكانت فكرة احدهم اسمه عمار اخذ استخارة عن طريق مسبحة لأن كلا الطريقتين يؤديان الى كربلاء، وبالمحصلة النهائية جاءت نتيجة الاستخارة في احد تلك الطرق، وفي اثناء مسيرهم قدم اليهم شخص وقال لهم انتم زوار الامام الحسين عليه السلام فسكتوا خوفاً منه، ثم قال لهم والله اذا استمريتم بالمشي فهناك امامكم

نقطة تفتيش لبعض عناصر حزب البعث لا يمكن الافلات منها، لذلك انصحكم بالاستراحة عندي واتشرف بضيافتكم و اراقبهم عند مغادرتهم النقطة وأضمن لكم تأمين الطريق وبالفعل ذهبوا معه الى بيته القريب من الشارع وفي ذلك الحين كان الجو حار جداً، فإن موعد الزيارة في الرابع عشر من حزيران من العام نفسه، وعندما دخلوا الى الغرفة الى استضافهم بها فتح لهم بما يعرف محلياً (المبردة) لتبريد الغرفة ثم جلب لهم لبن بارد شربوا منه وقال لهم الغداء يتأخر قليلاً لا تقلقوا ثم اغلق الباب عليهم بحجة ضمان سلامتهم، وبعد اقل من ربع ساعة جاء برفقة عدد من البعثيين قدر عددهم ثلاثين مدججين بالسلاح برفقة ذلك المحتال الذي أمنهم في بيته فقد اقتحموا المكان وضربوا الزوار بأخمس الرشاشات على كل مكان في اجسادهم حتى اغمي على بعضهم من شدة الضرب، وغطت اجسامهم الدماء الى جانب الكلمات النابية التي لا داعي لذكرها، وسط فرحة هستيرية لذلك المحتال الذي غدر بهم، وتم نقلهم الى الفرقة الحزبية ثم الى مديرية أمن كربلاء ثم العودة بهم الى مديرية أمن العمارة. (مقابلة شخصية مع اكرم جاسم محمد)

ومن ناحية اخرى انطلق بعض الشباب من حي الجاسمية في ناحية القاسم (الجوذري، بابل، ٢٠١٤) في محافظة بابل، ومنهم باسم حمادي حسين، قبل ايام معدودة من زيارة الاربعين التي كان موعدها في الرابع والعشرين من ايار عام ٢٠٠٠، وسلكوا الطرق الفرعية غير المعبدة واثناء استراحتهم في دار حجي ياسين المعروف بإقامة المجالس الحسينية آنذاك في قرية ابراهيم الخليل، لذلك جاءت اخبارية الى الحزب والامن والشرطة، بوجود زوار في البيت المذكور، ونتيجة لذلك تمت مداهمة ذلك البيت في تمام الساعة العاشرة صباحاً، والقي القبض على بعض الزوار ولاذ البعض الاخر بالفرار، وتم الاعتداء عليهم بالضرب بأخمس الرشاشات داخل

البيت، واتهامهم انهم تابعين للجمهورية الاسلامية الايرانية، وتم نقلهم بواسطة سيارات ركاب نوع (كوستر)، الى مقر الفرقة الحزبية وظلوا فيها من الساعة الحادية عشر لغاية الساعة الواحدة ظهراً ثم نقلهم الى مديرية الامن في الحلة، وتم ادخالهم الى قاعة السجن هناك. (مقابلة شخصية مع باسم حمادي حسين)

وفي حادث اخر انطلق الشبابان عبد الكريم حسين محمد و عبد الجليل راضي من ناحية المحاويل مشياً على الاقدام لغرض زيارة الاربعين اثناء الليل، وذلك في الثلاثين من نيسان عام ٢٠٠٢، وكان موعد الزيارة في الثالث من ايار من العام نفسه، واتبعوا الطرق الفرعية غير المعبدة المحاذية للجداول والمبازل وفي منطقة السدة (الطائي، ٢٠٠٥، ص ١١٥-١٢٤) قرب معمل الغاز آنذاك تم تأسيس فرقة حزبية جديدة هناك آنذاك، وهم لم يعلموا بوجود تلك الفرقة علما انهم كل عام كانوا يسرون في ذلك الطريق، لذلك تم القاء القبض عليهم من قبل عناصر الفرقة المذكورة، وعندما حققوا معهم قالوا لهم انهم ذهبوا لتسوق الخضار لان وقت القاء القبض عليهم قريب من الصباح الباكر، وعندما فتشوا امتعتهم وجدوا فيها سجادة وبعض الطعام، فعرفوا انهم زوار الاربعين، وتعرضوا للإهانات والكلام المسيء لهم اثناء اعتقالهم. (مقابلة شخصية مع عبد الكريم حسين محمد)

ثالثاً: اضهاد السجناء الزوار داخل السجن

تعرض زوار الاربعين السجناء للمعاملة المحطة بالكرامة الانسانية، فكانوا يكسونهم بأعداد غفيرة داخل غرف السجن بحيث من الصعوبة التقاط انفاسهم في ظل عدم وجود مراوح سقفية كما ذكرنا انفاً، والغريب ان من بين المسجونين منهم اطفال تراوحت اعمارهم بين عشرة اعوام واثنا عشر عام، وجود شبك صغير

للتهوية، وحتى توفير الطعام مرة واحدة في اليوم وغالباً ما كان عبارة عن ثلاث او اربع ملاعق من الرز، وكذلك الحال مع ماء الشرب تارةً عن طريق التوسل بالحراس وتارةً اخرى اضطروا الى الشرب من ماء الحمامات، ناهيك عن الخوف والرعب داخل السجون، فإن السجناء زجوا معهم عدد من وكلاء الامن تظاهروا انهم ضمن المسجونين، ولكن غاياتهم الاساسية الحصول على المعلومات عن طريق التقرب من السجناء الذين لم يدلوا بأي افادة او لم يعترفوا بما نسب اليهم من تهم. (مقابلة شخصية مع فلاح حسن نجم حسين)

ولابد من الاشارة الى ان زوار الاربعة الذين القي القبض عليهم عام ١٩٩٧، مكث المدنيين منهم بالسجن ما قارب الشهر، ثم اخذوا منهم تعهدات وقعوا عليها مفادها عدم المشي مجدداً لزيارة الاربعة، بينما العسكريين والعاملين في التصنيع العسكري ظلوا عدة ايام اضافية، اي ما قارب ثلاثة ايام، لا يعرفون مصيرهم المجهول وبعد ذلك تم نقلهم عن طريق الامن الى مديرية الاستخبارات العسكرية، وحققت معهم الاستخبارات العسكرية، وكان التحقيق قاسياً بحيث نعتوهم بأبشع الصفات ومنها انهم عصاة وتجاوزوا على المذهب الشيعي وعليهم بالضرب، واصفين المشي بالبدعة، و وضعوهم مع اشخاص لديهم تهم مختلفة مثل التزوير والسرقه وغيرها، واستمر وجودهم هناك عشرة ايام تقريباً، وبعدها تم ارسال جماعة التصنيع العسكري الى مقر عملهم، واحالة العسكريين الى الانضباط داخل وحداتهم وتم حجزهم عند الانضباط مدة عشرة ايام عاملهم الانضباط معاملة الفارين من الجيش بنفس الحدة القسوة، فقد عملوا على تقييد ايديهم بطريقة قاسية بحيث شرايين الدم توقف تدفقها، ونتيجة لذلك يكون الم شديد فيها، ثم اجبارهم على ركوب سيارة ركاب نوع (ريم)، وهي عالية وبذلك تكون الآلام مضاعفة، والغرض من ذلك هو

ابتزازهم عن طريق اعطائهم اموالهم مقابل تخفيف العقاب عليهم، وبعد ذلك نقلوا الى امرية الاستخبارات العسكرية في منطقة التاجي، وهناك تم وضعهم في قاعة كبيرة برفقة الهاريين من الجيش وتمت معاملتهم بمنتهى القسوة بالضرب المبرح من قبل الانضباط دون تمييزهم عن الباقين ثم سفروهم الى امن الجيش وهناك ظلوا مدة شهر تقريباً تعرضوا للضرب والاهانة، وعدم وكل مدة السجن لم يتم تحليقتهم او السماح لهم بالاغتسال لذلك ظهرت عليهم اعراض الامراض الجلدية. (مقابلة شخصية مع ميثاق زهير ناجي)

ومن ناحية اخرى حتى المريض من الزوار السجناء، لم يسعفه حراس السجن، وربما هناك توصيات خاصة للقيام بذلك الامر، فقد تعرض احد السجناء من زوار الاربعين الى مغص حاد في معدته وبعد مناداة الحراس رفضوا نجلته، لولا وجود سجين اخر من زوار الاربعين له خبرة في الاسعافات الاولية لتفاقت حالة المريض دون اي استغاثة (مقابلة شخصية مع ميثاق زهير ناجي) ، ومن جانب اخر فقد روى احد زوار الاربعين الذي هو جليل محمد لفته من اهالي السماوة ظروف اعتقاله اثناء المشي للزيارة عام ١٩٩٧، التي ذكرناها انفاً، فقد تم احتجازه مع بعض الزوار الذي رافقهم في مركز شرطة السدير وعاملهم مدير ناحية السدير آنذاك بمنتهى القسوة و وصفهم بالمتخلفين، وبعد ذلك اخذوهم الى التسفيرات تعاطف معهم احد الضباط و وفر لهم مكان جيد، وخلال دخولهم السجن تعاطف باقي السجناء معهم لانهم زوار الامام الحسين و فروا الطعام لهم واعطوهم الملابس وسهلوا امور دخولهم للحمام والاستحمام، وفي اليوم التالي وفر ذلك الضابط الذي كان برتبة رائد مكان خاص فقط لزوار الاربعين، بحيث ممنوع دخول الاكل والماء داخل السجن فإن ذلك الضابط وفر الثلج والطعام للزوار على مسؤوليته الخاصة، ولكن ساءت

وضعية الزوار بعد مجيء الامن للتحقيق معهم، واتفق مع رجال الامن على التحقيق مع الزوار دون ضربهم، فجرى الاتفاق بين الزوار على انهم لم يتفقوا على المشي وانما الصدفة جمعتهم، ولكن احد الزوار خالف الاتفاق دون قصد فتعرض بعض الزوار للضرب، فكانت ردة فعل الضابط الذي تعاطف مع الزوار رمي القلم الذي كان يحمله على الارض بقوة ونتيجةً لذلك لم يضربوا الزوار بعد ذلك الامر. (مقابلة شخصية مع جليل محمد لفته)

وذكر احد زوار الاربعة باسم حمادي حسين عند دخولهم الى مديرية الامن العامة تم وضعهم في سجن الاسرى (كان فيه الاسرى الايرانيين)، الذي فيه مشاهد مروعة من المسجونين المعذبين و وصف السجن عبارة عن ممرات منصوب عليها كاميرات وداخل السجن أقفاص حديد عددها خمسة وداخل القفص اسرة مرتبة عمودياً وفيها حمام ايضاً، وبعد عشرة ايام من الخوف والهلع ورؤية مشاهد السجناء الذين توفاهم الاجل من شدة التعذيب، وعدم اعطائهم الطعام سوى القليل من التمر احياناً، وبعد ذلك تمت محاكمته بشكل صوري وانتداب محامي من المفترض مهمته الدفاع عنه، والتهمة الموجه له ممارسة الطقوس الدينية الخاطئة وحكم من قبل مؤنس العاني الذي حكم على زوار الاربعة بموجب المادة (٢٢٢/٢)، بالسجن لمدة عام واحد، ولم يكلف محامي الدفاع او الادعاء العام الدفاع عنهم، وبعد ذلك تم نقلهم بواسطة سيارة نوع جيب الى سجن ابو غريب وتم ادخالهم الى قاعة خاصة بشكل (جمولنات)، وسط معاناة كبيرة ومنها ان تلك القاعة متهالكة يسقط المطر على رؤوس السجناء اثناء المطر، و تبرع سجين مسيحي اسمه يوسف وكان تاجر فقد قرر اعادة بناء القاعة على حسابه الخاص بعد ان قدم الاموال الى حماية السجن من اجل اغرائهم، وبالفعل جاءت الموافقة تمت اعادة بناء القاعة بشكل جيد. (مقابلة شخصية مع باسم حمادي حسين)

وهناك بعض الزوار تم اعتقالهم اثناء اداء مراسيم الزيارة الاربعين، ومنهم اكرم جاسم محمد علي من ناحية المحاويل في بابل قصد زيارة الاربعين مشياً على الاقدام وخلال يوم زيارة الاربعين عام ٢٠٠٠، واثناء يوم الاربعين ظهراً كانت هناك ضجة كبيرة داخل صحن الامام الحسين (عليه السلام)، وتحديداً خلال اذان الظهر فإن كل من في الصحن نادوا بأعلى اصواتهم الله واكبر ثم نادوا يا حسين وبعد ذلك قاموا باللطم، احتجاجاً على الواقع السيء الذي كانوا يعيشونه، في ظل انهيار المنظومة الاقتصادية وسياسة تكميم الافواه، لم يكن لهم متنفس سوى صحن الامام الحسين (عليه السلام)، وبعد ذلك دخل فدائيوا صدام وكان عددهم ثمانية عناصر وهم ماسكين بايديهم العصا الكهربائية، وقاموا بضرب الزوار بشدة فتفرق الزوار واحد الفدائيين قام بضرب احد الزوار الشباب مرتدياً قميص اسود داخل الصحن بشكل مبرح بحيث سالت دمائه من رأسه وغطت ملابسه وذلك الامر دفع مجموعة من الزوار الى تشكيل دائرة ضد ذلك الفدائي واحد الزوار قال له لماذا تضربه ثم ضرب الفدائي وشارك الزوار في ضربه ايضاً ومنهم اكرم جاسم، وتم انقاذ ذلك الزائر عن طريق تبديل قميصه وتهريبه بين النساء، ورجعت الزوار لممارسة الطقوس وسط هتافات بالروح بالدم نفديك يا حسين. (مقابلة شخصية مع اكرم جاسم محمد)

وبعد قليل من ذلك الحدث تم اغلاق ابواب صحن الامام الحسين (عليه السلام)، ومحاطة الصحن بمئات المسلحين الذين اقتحموا الصحن وضربوا كل من صادفهم من الزوار داخل الصحن، وعند خروج اكرم جاسم من الصحن كان مرتدياً قميص اسود ايضاً بعض ازراره مقطوعة وذلك الامر اثار انتباه الفدائيين اعتقلوه آنذاك وبجانبه شخص افغاني او باكستاني، قال له احد الفدائيين أخفض رأسك لم يفهم الكلام فضربه على رأسه سقط رأسه بين فخذه وسط نريف حاد من انفه بحيث

اصبحت بقعة كبيرة من الدماء على الارض، بحيث تم اعتقال سبعة عشر زائر آنذاك، تم تقييدهم و نقلهم بواسطة سيارة نوع (كوستر)، الى مديرية امن كربلاء وتم ادخالهم الى قاعة السجن مساحتها اربعة امتار مربعة فيها ما قارب المئة سجين ظلوا فيها يومين كانت صعبة جداً عليهم، وتعمدوا على اعطائهم ماء شرب قليل، ولم يسمحوا لهم بالخروج الى الحمامات الا بعد التوسل والالاح الشديد، وبعد ذلك تم نقلهم الى مديرية الامن العامة وتم وضعهم في المحاجر كل سجين من الزوار في محجر لوحده، والمحجر عبارة عن فرفة صغيرة مترين ونصف طولها وعرضها متر ونصف وفيها حمام داخلي، وظلوا في مديرية امن ابو غريب سبعين يوم في المحاجر، وقاموا بالتحقيق معهم وقبل وصولهم الى التعذيب كانت لديهم فكرة عن طرق التعذيب بواسطة الكهرباء والضرب المبرح، وتلك الفكرة تكونت لديهم عن طريق السجناء الذين كانوا معهم. (مقابلة شخصية مع اكرم جاسم محمد)

وهناك حادثة اخرى مفادها ان احد زوار الاربعين جاءت معلومات عن عائلته اكدت على اعدام بعض افرادها بسبب اتهامهم بالانتماء الى حزب الدعوة، ونتيجةً لذلك تم تعذيبه بالسجن عن طريق تجويعه ثم اعطائه الطعام المعروف محلياً (نفر كباب شوي)، تعمدوا جعله مالح جداً ومن شدة الجوع كان يأكل ذلك الطعام بشراهة ولكن بعد اكمال الطعام رفضوا اعطائه ماء للشرب مما تسبب ذلك الامر الآلام شديدة له، وفي اليوم التالي اعطوه مقدار قليل من الماء وايضاً اعطوه نفس الطعام ومنعوا عنه الماء وذلك نموذج من التعذيب الذي تعرض له بعض السجناء، ومن ناحية اخرى كان بعضهم شجاع لم يبالي بمصيره ومنهم اكرم جاسم الذي عندما حقق معه ضابط التحقيق قال له ماذا تفعل في صحن الحسين عليه السلام، فقال له اللطم والخوف ينتابه بداخله، ولكنه مدرك ان الامام الحسين من وجهة نظره لم يتركه في

ذلك الموقف، وقال له تعترف ثم قال له انت طالب قال نعم في كلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد (النداوي، ٢٠٠٧، ص ٤٦)، فكان جواب الضابط له لماذا فعلت بنفسك هذا الامر، فكان هناك شخص خلفه قال له سيدي ابدأ بضربه فقال له اخرج، ثم قال ضابط التحقيق له انصحك بان لا تصلي ولا تصوم واشرب الخمر واستمتع بحياتك واكد له انه لم يؤذيه بالتحقيق، والطريق الذي مشيت به يكون عار عليك طول عمرك؟!، فكان الصمت جوابه، و وقع على ما كتبه ضابط التحقيق والذي اتهم فيه بالإساءة الى تعليقات الرئيس العراقي السابق صدام حسين، وبعد ذلك تم ادخاله الى سجن فيه اقفاص حديد المذكورة انفاً، فكان السجناء يرحبون بالسجناء الجدد من اجل معرفة ما كان يجري خارج السجن، ولا بد من الاشارة الى معاناة السجناء لا يمكن وصفها فقد توفي بعض السجناء من شدة التعذيب او من خلال الامراض ولاسيما الامراض الجلدية، وكانوا مدة طويلة لا يرون الشمس، وذكر اكرم جاسم بعد مدة سبعين يوم تم اخراجهم لرؤية الشمس واغمي على بعض السجناء من شدة الحر، وقدر عدد الزوار ضمن السجناء ثلاثمائة سجين، وتم حكمهم لمدة عام من قبل مؤنس العاني، وبعد ذلك التحقوا بالسجون الخاصة او المغلقة التي ممنوع فيها الزيارة ومكتوب عليها مخازن حبوب للتمويه، وبعد ذلك جاءت الاوامر من الرئيس العراقي السابق صدام حسين بعزل زوار الامام الحسين عليه السلام، في السجون، وبالمقابل فإن مراجع الشيعة في النجف الاشرف في ذلك الحين وجبوا زيارة الامام الحسين عليه السلام.
(مقابلة شخصية مع اكرم جاسم محمد)

الخاتمة

جاءت خاتمة البحث محملةً بالنتائج الآتية:

١. أثبت البحث ان نظام صدام حسين نظام طائفي حاول التقليل من قيمة زيارة الاربعين، وذلك لأنه كان يدرك ان ذكر الامام الحسين عليه السلام معناه السير على طريق الاصلاح والقضاء على الفساد بكل اشكاله، والدليل على ذلك حتى اقرباء بعض عناصر حزب البعث كانوا يمشون بزيارة الاربعين.
٢. كشف البحث المعاناة الكبيرة للزوار الوافدين الى كربلاء مشياً على الاقدام، فإن الخوف والهلع انتابهم منذ لحظة خروجهم من منازلهم حتى رجوعهم الى منازلهم وهم عزل لا حوله ولا قوة لهم سوى انهم محبي ال بيت الرسول.
٣. ظهر من خلال البحث مدى الظلم الذي تعرض له الزوار المعتقلين من الكلمات النابية والضرب المبرح والتعذيب بالكهرباء، و وصل الظلم الى وفاة بعض السجناء.
٤. تبين من خلال البحث ان السجنون كانت تفتقر الى ابسط مقومات الانسانية بحيث كانت مكدسة بالسجناء تارةً ومنفردة بشكل محاجر تارةً اخرى، وحتى غذاء السجناء مرة واحدة في اليوم ودل ذلك على انحطاط المستوى الاخلاقي للنظام السياسي آنذاك.